مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: المكان في الشعر الإماراتي – إبراهيم محمد إبراهيم أنموذجاً –
اسم الكاتب: حسن علي النجار، عبد الرحمن بوعلي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9296
تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 21:02 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد 20، العدد 3
جمادى الثاني 1445هـ / سبتمبر2023م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

سبتمبر 2023م مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 20 العدد 3
https//:doi.org/10.36394/jhss/20/3/14

المكان في الشعر الإماراتي
-إبراهيم محمد إبراهيم أنموذجاً-

حسن علي النجار[1]
عبد الرحمن بوعلي[2]

تاريخ الاستلام: 03-02-2022 تاريخ القبول: 17-04-2022

ملخص البحث:

يعد المكان مكوناً مهماً في الشعر، وهو من أهم العناصر في التشكيل الجمالي للنص الشعري، ومن خلاله بإمكاننا إبراز طبيعة التفاعل بين المكان وتجربة الشاعر الشعرية، وتحليل نصوص شعره على ضوء ذلك، وقد وقع الاختيار على الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم، وذلك لغزارة إنتاجه، وامتداد تجربته الشعرية إلى أكثر من ثلاثين عاماً، إضافةً إلى ذلك فإن حضور المكان في شعره كان بشكل كبير ولافت، وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج التحليلي للنصوص الشعرية، وانقسم هذا البحث إلى تمهيد ومحورين، أما التمهيد فقد تقصَّيت فيه مفهوم المكان في المعاجم اللغوية، والفلسفة، والنقد الأدبي، كما عرَّفتُ فيه بالشاعر وبآثاره الشعرية، وتناولت في المحور الأول المكان الاجتماعي، وكان البيت أنموذجاً للمكان الخاص، والشارع أنموذجاً للمكان العام، والمقهى أنموذجاً للمكان المشترك، أما المحور الثاني فقد تناولت فيه المكان النفسي، وبحثتُ من خلاله في المكان الأليف، والمعادي، والمتحول.

الكلمات الدالة: المكان، الشعر الإماراتي، إبراهيم محمد إبراهيم، المكان الاجتماعي، المكان النفسي.

(1) كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة الشارقة (الشارقة – الإمارات العربية المتحدة)
u17200719@sharjah.ac.ae

(2) كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة الشارقة (الشارقة – الإمارات العربية المتحدة)

20-3.indd 250 8/30/2023 8:45:29 PM

المقدّمة:

يعد المكان من أهم العناصر التي تشكل جمال النص الشعري، ولا شك أن الشاعر يتأثر بالمكان، وهذا التأثر ينعكس بشكل ما على شعره، ولا سيما الشاعر العربي الذي ارتبط بالمكان ارتباطاً وثيقاً، ما جعله متجلياً بصورة واضحة في شعره قديمه وحديثه، وقد تطور هذا الارتباط، وتعددت وجهات النظر فيه، وذلك تزامناً مع التطور الثقافي والاجتماعي والحضاري، وهو أمر ترك أثراً في الشعر المعاصر والحديث.

ووقع اختياري على شعر إبراهيم محمد إبراهيم، وهو شاعر إماراتي وُلد في دبي عام 1961، وقد فاز بجائزة الدولة التقديرية في الشعر الفصيح لعام 2009، وشعره مفعم بالحيوية ونابض بالجمال، وفي الوقت نفسه فإن الشاعر مكثر، إذ أصدر خمسة عشر ديواناً، كما أن احتفاءه بالمكان في نصوصه الشعرية واضح جلي.

وقد جاء هذا البحث في تمهيد ومحورين، أما التمهيد فقد تقصَّيت فيه مفهوم المكان في المعاجم اللغوية، والفلسفة، والنقد الأدبي، كما تم التعريف فيه بالشاعر وبآثاره الشعرية، وتناولت في المحور الأول المكان الاجتماعي، وكان البيت أنموذجاً للمكان الخاص، والشارع أنموذجاً للمكان العام، والمقهى أنموذجاً للمكان المشترك، أما المحور الثاني فقد تناولت فيه المكان النفسي، وتم البحث من خلاله في المكان الأليف، والمعادي، والمتحول.

التمهيد:

- **مفهوم المكان:**

جاء مفهوم المكان في المعاجم اللغوية، وفي الفلسفة، وفي النقد الأدبي، وفيما يلي استعراضٌ لكل ذلك:

أ. في المعاجم اللغوية:

تمركز مفهوم المكان في المعاجم اللغوية على معنى «الموضع»، كما أنه جاء في مادتي: « كون»، و» مكن»، فأصل كلمة مكان هو «كون»، لكن حين كثر لزوم الميم توهموها أصلية. ولكن يلحظ أن كثيراً من المعاجم لم تستقر على اختيار أصل واحد للمكان، إذ ترد الكلمة في المادتين في المعجم الواحد، وهذا ما أعتبره إضافة غير لازمة، وأنه لو تم الاكتفاء بذكرها في مكان واحد مع التعليل لكان أجدى، وقد انسحب ذلك على المعاجم الحديثة أيضاً، كما يلحظ أيضاً أن شرح المعنى أو التعليل لصواب مادة على أخرى يتكرر في المادتين.

20-3.indd 251 8/30/2023 8:45:29 PM

وفيما يأتي ونستعرض بعضاً من هذه المعاجم اللغوية:

أورد الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175 هـ) تعريف المكان في كتابه « العين» في موضعين:

فقال في مادة (كون): «والمكان: اشتقاقه من كان يكون، فلما كَثُرت صارت الميم كأنها أصلية، فجُمع على أمكنة، ويقال أيضاً: تمكَّن، كما يقال من المسكين: تمسكن. وفلانٌ مني مكانَ هذا، وهو مني موضعَ العمامة، وغير هذا ثم يُخْرِجُه العربُ على المَفْعَل، ولا يُخرِجونه على غير ذلك من المصادر» (الفراهيدي، 1982، مادة كون).

أما في مادة (مكن) فيعزز الخليل فكرته قائلاً: إن « المكان في أصل تقدير الفعل: مَفْعل؛ لأنه موضع للكينونة» (الفراهيدي، 1982، مادة مكن)، وعلَّلَ ذكر المكان هنا حين استطرد فقال: « غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفَعال، فقالوا: مكنَّا له، وقد تمكَّنَ، وليس بأعجب من (تمسكن) من المسكين، والدليل على أن المكان مَفعل: أن العرب لا تقول: هو مني مكانَ كذا وكذا إلا بالنصب» (الفراهيدي، 1982، مادة مكن).

ولم يفصّل الفيروز آبادي (ت 817 هـ) في تعريف المكان، واقتصر على أنه الموضع، وجعله في مادتَيْ (كون) (الفيروز آبادي، 1991، مادة كون) و (مكن)(الفيروز آبادي، 1991، مادة مكن).

ب. في الفلسفة:

أخذ مفهوم المكان بعداً فلسفياً في الفلسفة اليونانية، وصار يحمل خصائص معينة تميزه عن غيره من المفاهيم الأخرى كالحركة، والزمان، والتناهي، واللاتناهي، والجسم الطبيعي.

ويُعنى بالمكان فلسفياً ما يحل فيه الشيء، أو ما يحوي ذلك الشيء ويميزه ويحده ويفصله عن باقي الأشياء.

ونجد أن أول استعمال اصطلاحي للمكان في الفلسفة قد صرح به أفلاطون (ت 347 ق.م.)، إذ عده حاوياً وقابلاً للشيء (العبيدي، 2007، ص 19).

إن المكان عند أفلاطون غير مستقل عن الأشياء، وهو يتحدد ويتشكل من خلالها، فالمكان لديه هو هيولى، أو مادة غير متعينة، وهذا يعني أنه لا يعدو أن يرى المكان أكثر من المسافة الممتدة والحاوية العامة للكائنات المحسوسة (العبيدي، 2007، ص 27).

أما عند أرسطو (ت 322 ق.م.) فالمكان لديه موجود وبيّن، ولا يمكن نفيه وإنكاره، فهو

20-3.indd 252 8/30/2023 8:45:29 PM

موجود ما دمنا نشغله ونتحيز فيه، ويمكن إدراكه عن طريق الحركة، والتي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر، أي الحركة المستقيمة؛ لأنه يتمتع بمفارقته الأجسام المتمكنة فيه، كونه سابقاً عليها في الوجود ولا يفسد بفسادها، والمكان عنده ليس بهيولى - وهنا خالف أفلاطون -، ولا صورة، أوغاية، أو فاعل، أو بُعد للأشياء، بل هو سطح للأجسام (العبيدي، 2016، ص 38).

وتابع الفلاسفة العرب والمسلمون دراسة مفهوم المكان فلسفياً:

نجد ابن سينا (ت 428 هـ) مثلاً يفسر المكان تفسيراً حسياً، وقد اهتم مثل أرسطو بالرد على نفاة المكان ومحاججتهم إذ إن وجود المكان لم يكن أمراً مسلماً به من قبل وقد ذهب فريق من المفكرين إلى أن المكان غير موجود أصلاً (العراقي، 1983، ص 216)، والمكان عند ابن سينا ليس بهيولى ولا صورة، وكذلك ليس بعداً، ولا ببسيط، بل هو محل يحوي الأجسام، وهو يعرفه بالسطح المحيط بالجسم.

ومن خصائص المكان الأساسية عند ابن سينا أنه متناهٍ، تبعاً لتناهي الجسم الطبيعي الذي يحل فيه؛ لأن القول بعدم تناهي الجسم وقبوله القسمة الانفكاكية إلى ما لا نهاية سيقودنا إلى القول بعدم تناهي المكان، وهذا ما يرفضه ابن سينا (العبيدي، 2000، ص 123 - 124).

أما ابن الهيثم (ت 430 هـ) فإنه لا يقر بما ذهب إليه أرسطو عن المكان، وتابعه في ذلك ابن سينا، ويأخذ بتحديد مغاير لهما، فهو يرفض كون المكان سطحاً، ليتبنى الموقف الثاني الذي هو الخلاء المتخيل (العبيدي، 2016، ص 97 - 99)، « والخلاء المتخيل هو الأبعاد المتخيلة التي لا مادة فيها، التي بين النقط المتقابلة من السطح المحيط بالخلاء»(ابن الهيثم، 2014، ص 109)، « وعلى هذا الأساس فإن المكان عند ابن الهيثم يكون هو أبعاد الجسم نفسه»(العبيدي، 2016، ص 198).

ج. في النقد الأدبي:

إن النقد الحديث قد احتفى بخصائص المكان في الأدب، واشتغل عليه بوصفه أصلاً فنياً، أو كياناً جمالياً، وتكمن براعة المبدع في إفراغه من مرجعيته الواقعية، والتوسع في تشكيلاته الفنية والدلالية، فلا يأتي الاهتمام البالغ بالمكان في دراسة النص الأدبي باعتباره مكاناً طبيعياً متجسداً في الواقع، وإنما بوصفه مكاناً فنياً يتشكل من رحم الإبداع وطاقته الخيالية، وأن رؤيته التصويرية والجمالية لا تنبعث من بنائه المرئي، وحدوده، وأبعاده الخارجية، وإنما من كونه عالماً مفتوحاً وممتداً بلا حدود (صلاح، 2014، ص 21)، وبذلك فالمكان « يُنظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني، وأصبح

20-3.indd 253 8/30/2023 8:45:30 PM

تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعداً جمالياً من أبعاد النص الأدبي»(حسنين، 1988، ص 3).

إن ذكر المكان في الأعمال الأدبية والإلحاح عليه –أيًّا كان هذا المكان ونوعه– ليس انغلاقاً ولا تعصباً، وإنما هو خصوصية خاصة تبين طبيعة علاقة الأديب بمكانه المحبب (كساب، 2006، ص 9)، إذ «يمثل المكان مكوناً محورياً في بنية السرد حتى لا يمكن أن نتصور حكايةً بلا مكان، فلا وجود للأحداث خارج المكان؛ لأن كل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان محددين»(مينو، 2012، ص 279)، وهذا ما أشار إليه غالب هلسا في تقديمه لكتاب « جماليات المكان» حين قال: « إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته»(باشلار، 1984، ص 5 - 6).

- **التعريف بالشاعر إبراهيم محمد إبراهيم وبآثاره:**

أ. الشاعر:

ولد الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم في 22 / 12 / 1961، وهو من القاطنين في إمارة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهو عضو في عدد من الجمعيات والروابط الأدبية، من مثل: اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، واتحاد الأدباء والكتَّاب العرب، ورابطة الأدب الإسلامية العالمية، كما أنه ترأَّس لجنة الشعر الفصيح في بيت الشعر بأبوظبي، وترأَّس تحرير مجلة بيت الشعر الصادرة عن نادي تراث الإمارات في أبوظبي.

وقد فاز الشاعر بجائزة الدولة التقديرية في الشعر الفصيح عام 2009، وتعد هذه الجائزة من أرفع الجوائز الأدبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو خريج كلية الآداب فرع اللغة العربية وآدابها من جامعة بيروت العربية عام 1994، ومن مسيرته العملية، فقد عمل: مساعداً لمدير دناتا للطيران العالمي، ومديراً للترجمة بطيران الإمارات، ورئيساً لقسم المنظمات الدولية بجمارك دبي، ومديراً لاستراتيجية المحتوى الإعلامي بالمجموعة الإعلامية العربية، ومديراً لإدارة الدعم الفني بمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم (الموقع الإلكتروني للشاعر، ibrahimmibrahim.com).

وحاز مؤخراً على الشخصية المكرمة في مهرجان الشارقة للشعر العربي عام 2017 (الموقع الإلكتروني لدائرة الثقافة والإعلام-الشارقة، sdci.gov.ae.).

ب. آثاره:

ذُكر الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم في معجم أدباء الإمارات - والصادر حديثاً -، وذُكرت فيه عناوين جميع دواوينه الشعرية، مقرونة بسنة الطبع التي لم ترد في بعض

20-3.indd 254 8/30/2023 8:45:30 PM

دواويـن الشـاعر:

صحوة الورق، مطابع البيان التجارية، دبي، 1990.

فساد الملح، [د.ن]، 1997.

هذا من أنباء الطير، [د.ن]، 2000.

الطريق إلى رأس التل، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 2002.

عند باب المدينة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002.

خروج من الحب. دخول إلى الحب، [د.ن]، 2004.

مس من شتاء، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2004.

ريشة في الضباب، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2009.

هكذا قهوتي، واتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 2010.

ليست الأرض لي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، 2010.

سُكَّر الوقت، واتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، 2012.

سُلَّم الكون، بيت الشعر، أبوظبي، 2012.

لن تفهموا، بيت الشعر، أبوظبي، 2102.

جبل الراهبات، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2012.

وُلدتُ ضحى، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 2012 (عبيد، 2016، ص 12 - 13)

المبحث الأول: المكان الاجتماعي في شعر إبراهيم محمد إبراهيم:

منـذ أن خلـق الله الإنسـان، وجعـل الأرض مسـتقراً وعيشـاً، وهـو يحيـا علـى ظهرهـا فـي أسـرة أو قبيلـة، يبادلهـم الهمـوم، ويعيـش معهـم حاضـره، ويبنـي معهـم مسـتقبله، وهـو فـي الأحـوال كلهـا لا يسـتطيع العيـش منفـرداً ومنعـزلاً عـن الآخريـن، وهـو يعيـش « فـي دوائـر متراكـزة مـن الأماكـن، تتـدرج مـن الخـاص شـديد الخصوصيـة (غرفـة النـوم) إلـى العـام المشـاع بيـن كل النـاس (الشارع)»(قاسـم، 2002، ص 39).

20-3.indd 255 8/30/2023 8:45:30 PM

ويتجلى المكان الاجتماعي في عدة نواحٍ، هي:

1. المكان الخاص.
2. المكان العام.
3. المكان المشترك (بين الخاص والعام).

فالمكان الخاص، هو مكان السكنى، وهو منطلق الإنسان إلى مجتمعه الخارجي، منه يقصُّ الشاعر علينا ذكرياته التي عاشها بين أهله، ومنه تنقدح شرارات أحلامه. وتتسع دلالة البيت في الشعر وتضيق، فكما هو بيت الحب والمرأة والأسرة، فهو بيت الغربة والفراق والوحشة (الطربولي، 2005، ص 78 - 79)، إن « البيت هو ركننا في العالم، إنه، كما قيل مراراً: كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى»(باشلار، 1984،ص 36)، إن كل الأمكنة المأهولة تحمل جوهر فكرة البيت، فساكن البيت يضفي عليه حدوداً، وهو يعيش تجربة البيت بكل واقعيتها وحقيقتها خلال الأفكار والأحلام، والبيت يحمي أحلام اليقظة، والحالم بها، ويتيح للإنسان أن يحلم بهدوء (باشلار، 1984، ص 36 - 37).

وأما المكان العام، فهو يتمثل بالشوارع والأزقة، والحدائق، والأماكن التي تقام فيها المناسبات واحتفالاتها. والشوارع أماكن مفتوحة، تستقبل كل فئات المجتمع، وتمنحهم كامل الحرية في التنقل وسعة الاطلاع والتبدل، وهي لا تقوم على تحديدات ولا على حدود ثابتة، ما يصعب على الكاتب عملية الإمساك بها (هنية، 2013، ص 111).

وأما المكان المشترك بين الخاص والعام، فهو الذي يجمع بينهما، ويتمثل بالمقهى والسوق: أما المقهى فهو بؤرة اجتماعية لها دلالاتها الخاصة، التي وجدت في هذا المكان علامة دالة على الانفتاح الاجتماعي والثقافي، وأنموذجاً مصغراً لعالمنا، فهو بيت الألفة العام الذي يستوعب الجميع، ويحتوي الجميع دون شروط مسبقة، ودون مواعيد مسبقة(هنية، 2013، ص 121)، وأما السوق فإنه مكان تجاري تختلف بنيته الهندسية والعمرانية تبعاً للمكان الواقع فيه، سواءً أكان قرية أم مدينة، وهو ليس مكاناً للتسوق فحسب، وإنما أيضاً مكان للّقيا والحوار الاجتماعي المتبادل(هنية، 2013، ص 128)، وفيما يأتي سنضرب أمثلة على ذلك من قصائد الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم:

1. المكان الخاص (البيت أنموذجاً):

إن البيت في شعر إبراهيم محمد إبراهيم هو كوةٌ يطل منها على اتساع روحه، ويبصر من خلالها أعماق نفسه، وهو في البيت يمارس عزلته ووحدته، ويعيش حياته الحقيقية بعيداً عن أعين الناس، وهو يرى في غرفة النوم مكاناً مثالياً لانطلاق أحلامه وخيالاته،

20-3.indd 256 8/30/2023 8:45:30 PM

وفي بعض الأحيان يتحول البيت في نظره من مكان محاط بالألفة إلى مكان يتصف بالوحشة، لا يستطيع من خلاله أن يعبر عن ذاته، أو يبوح بما في داخله، وكأن البيت قد أصبح سجناً.

ففي قصيدة « الأخبار» يبرز لنا المشهد وقد تم ذكر الكثير من تفاصيل البيت فيه: جدران، سقف، كرسي، طاولة، باب، قطة، كتب، تلفاز، وتفاصيل المشهد توحي بأن هذا الإنسان العربي ما إن يستمع للأخبار إلا ويتملكه الدوار والحمى والهذيان، وكأنه قد أصبح مريضاً من أثر سماع آخر الأخبار في الوطن العربي، وكل ما يحدث أمامه محض تخيلات، من تماوج الجدران، وانخفاض السقف، وكرسي يدور بلا سبب، وطاولة تمشي، وكتب ملقاة، وكأنها سقطت لوحدها، وذلك كله مرتبط حدوثه بعد انتهاء نشرة الأخبار، وكأن حالة الإنسان العربي الداخلية من حزن وألم وغصة فوق طاقة احتماله، وكان انعكاس كل هذا في المشهد الخارجي هو قلب للأشياء عن حالتها المألوفة، يقول الشاعر (إبراهيم، 2010، ص 124 - 125):

جُدرانُ البيتِ تَماوَجُ ..

والسّقفُ العالي مُنْخَفِضٌ،

يتَثَنّى فوقَ هواجِسِ رأسي.

والكُرسِيُّ المهجورُ

يدورُ بلا سببٍ ..

والطاوِلةُ العَرجاءُ

بِلا عُكّازٍ تمشي،

صوبَ البابِ المُتَذَمّرِ

منْ هَجْرِ الزُّوارِ ..

وقِطّتُنا البيضاءُ

على كُتُبٍ مُلقاةٍ فوقَ الأرضِ،

ولمْ تُقرأْ بعدُ،

تئِنُّ وتضحَكُ

20-3.indd 257 8/30/2023 8:45:30 PM

مِثْلَ عجوزٍ خَرِفٍ ..

يحدثُ هذا

كُلَّ مساءٍ،

بعدَ مُشاهَدَةِ الأخبارِ

على القَنواتِ العربيّةْ.

وحين يعود الشاعر إلى بيته، وهو يحمل المرآة، ويعيش وحدته الشعورية، يغرق في العزلة حتى يظن أنه لا أحد في القرية سواه، وكأن حدود العالم تنتهي عند عتبة بابه، وهذا يشير إلى انقطاعه عن الناس، واستئناسه بوحدته في البيت، هذا المكان الذي يمارس فيه كل طقوسه وحياته بعيداً عن أعين الآخرين، يقول (إبراهيم، 2012، ص 45 - 46):

وَضَعَ المِرْآةَ على بابِ القَرْيَةِ،

حتّى يتمَرأى الدّاخِلُ والخارِجُ فيها..

حَمَلَ المِرْآةَ إلى البيتِ

لِيُحصي المُتَمَرْئينَ..

فكانتْ خالِيَةً،

إلاّ منْ وَجْهٍ

كانَ يُشاهِدُهُ كُلَّ صباحٍ

في المِرآةِ،

فَظَنّ بِأنّ القَريَةَ

ليسَ بها أحَدٌ

إلاّهْ.

ويرى الشاعر أن البيت مثل الجحر، وربما يقصد بالجحر أنه يعيش خصوصيته المطلقة في بيته، مثل الجحر الذي يحجب نظر الفضوليين عنه، ويترك له مساحة من الانطلاق في هذه المساحة الصغيرة جداً، وكأنه كونٌ مكتمل الملامح، وهنا مفارقة حين

20-3.indd 258 8/30/2023 8:45:30 PM

يقـول: « مـا أوسـع جحـر»، ويريـد أن يوصـل إلينـا أن الاتسـاع ليـس للمـكان فعليـاً، ولكـن لاتسـاعه فـي مخيلتنـا وذاكرتنـا، فصـار كونـاً يضاهـي الكـون الخارجـي، يقـول (إبراهيـم، 2012، ص 71 - 72):

كُنتُ أرى البيتَ كبيراً

فضْفاضاً..

وكبَرْتُ

فصِرْتُ أراهُ كجُحْرِ النّملةِ..

ما أوسعَ جُحرٍ

نَخرُجُ مِنهُ

بما لا يحمِلُهُ الكونْ.

2. المكان العام (الشارع أنموذجاً):

أمـا الشـارع فـي قصائـد إبراهيـم محمـد إبراهيـم يأتـي مـرةً مكانـاً مليئـاً بالوحشـة والحـزن حيـث يسـير فيـه وحيـداً، ويأتـي مـرةً أخـرى مكانـاً مليئـاً بالحـب والصداقـة يبحـث فيـه عـن حبيـب أو صديـق، كمـا قـد يأتـي حينـاً مكانـاً محتشـداً بالفـرح الـذي لا يُلتفـت إليـه، وحينـاً آخـر يذكـر حالـة الإنسـان البائـس الـذي يكـون الشـارع بيتـه ومصيـره.

ففـي قصيـدة « وجـع» مثـلاً نـرى الشـارع الفـارغ مـن النـاس، والملـيء بالوحشـة والخـوف، والحـزن والوجـع، وفيـه يمشـي أحدهـم وحيـداً دون صاحبـه، يحمـل آلامـاً لا تُـرى لهـا نهايـة، ولا يـدري متـى سـتزول، ويسـير فـي هـذا الشـارع يرافقـه هذيانـه، وخوفـه، يتبـرم مـن الصمـت المزعـج مـن حولـه، وفـي المقابـل فـإن صاحبـه الأعمـى يسـير فـي شـوارع القريـة ذاتهـا، ويبحـث عـن وجـع يتسـلى بـه، هنـا قـدم لنـا الشـاعر صـورة متناقضـة بيـن صاحبيـن، أحدهمـا ممتلـئ بالحـزن ومشـاعر الضيـاع، والآخـر يبحـث عـن جرعـة مـن الحـزن والوجـع لعلهـا تشـاركه فـي وحدتـه وتسـليه، الشـوارع هـي ذاتهـا، والوحـدة هـي ذاتهـا، ولكـن كل واحـد منهمـا تعامـل معهـا بمشـاعره وطبائعـه، يقـول الشـاعر (إبراهيـم، 2012، ص 101):

في الشارع المهجورِ

لا أحدٌ

20-3.indd 259 8/30/2023 8:45:30 PM

سوى وجعٍ بلا عينينِ

يمشي دونَ صاحِبِهِ

ويهذي..

خائفاً يمشي

ويبحُثُ دونَ جدوى

يركُلُ الصّمتَ المُدَوّي حولهُ

ويعودُ يركُلُهُ..

وصاحبُهُ بلا عينينِ يمشي

في زُقاقِ القريةِ العمياءِ

يبحثُ عن وَجَعْ.

إن إبراهيم محمد إبراهيم يؤنسن الشارع، فهو كالإنسان الصامت، الذي يشعر ويحسُّ، وله كرامة واعتبار، ويشير الشاعر هنا إلى أن صمت الشارع لا يعني خلوه من الألم، وإلى أن له كرامته التي لا بد وأن تصان، فاحترام الشارع في نهاية الأمر هو احترام للمجتمع، يقول (إبراهيم، 2009، ص 23):

ما أدراكَ،

بأن الشارعَ لا يتألّمْ.

حين ندوسُ كرامتهُ،

ونُغنّي....

ألأنّ الشارعَ لا يتكلّمْ؟

ويؤكد الشاعر أنسنة المدينة، ويجيب حبيبته حين تسأله عن الطريق المؤدية إليها، فيكون جوابه بديهياً وذكياً، حين يقول لها: إنه والشوارع من سيفضون إليها، وهنا يؤنسن شوارع المدينة، ويؤكد لها بأنهما (هو والشارع) في اشتياق لها، وأنهما سيصلون إليها قبل أن تبرح مكانها، يقول (إبراهيم، 2009، ص 31):

20-3.indd 260 8/30/2023 8:45:31 PM

وتسألُ:

أيُّ الشوارعِ تُفضي إليكَ؟

فقُلتُ:

أنا والشوارعُ نُفضي إليكِ.

3. المكان المشترك (المقهى أنموذجاً):

إن المقهى في شعر إبراهيم محمد إبراهيم مكان مفتوح على كافة الاحتمالات العاطفية، ومكان للهروب، فهو يهرب إليه بأحزانه وآلامه، يلوذ به كلما دعت الحاجة إلى ذلك. والمقهى أيضاً مكان لالتقاء عاشقين، من حولهما يزهر الحب، وفي روحيهما تغني عصافير الاشتياق، كما أن المقهى مكان للعزلة والوحدة، والانتظارات الطويلة والتي تصحبها آمال بعودة غائبٍ، ويعتقد الشاعر أيضاً بأن المقهى مكان من المفروض أن يتكفل بالعدالة الاجتماعية دون نفاق أو طبقية.

إن المقهى عند الشاعر مكان قابل لعدة تأويلات في الوقت ذاته، فهو يضع على طاولته فنجانيْن، أحدهما للبهجة، والآخر يتركه لانتظاراته لميعاد يبهج فيه، وإلا فهو منتظر حتى آخر الليل، فيترك لنفسه مساحة زمنية شاسعة للانتظار، وهو ممتلئ بالأمل بأن تأتي البهجة، وإلا فالفنجان يصبح للأحزان، يقول الشاعر (إبراهيم، 2009، ص 165 - 166):

للمقهى بابانْ.

بابٌ للداخِلِ،

والآخرُ للخارِجْ.

وعلى طاولتي،

خارِجَ هذا المقهى،

فِنجانانْ.

فِنجانٌ، للبَهجةِ....

والآخرُ،

إنْ لمْ تأتِ البَهجةُ،

20-3.indd 261 8/30/2023 8:45:31 PM

قبلَ بُزوغِ الفجْرِ،

فللأحزانْ.

وفي إحدى زيارات الشاعر للمقهى لم يجد للقهوة طعماً، ولم يستلذها كالعادة، فالقهوة لا شيء من دون نديم، وهنا يقول الشاعر: «للقهوة طعم آخر»، أي أن ما يدور حول القهوة من أحاديث أو ذكريات أو أخيلة هو ما يعطي القهوة طعمها ولذتها، وهذا المكان مكان اعتاد الشاعر على ارتياده، والدليل على ذلك أن النادلة تعلم ما يريد، وهي التي تسأله للتأكد من أنه يريد القهوة التي اعتاد عليها، لكنه يشعر هذه المرة بتغير الطعم من الرشفة الأولى، ثم غرق في سرحانه وتأملاته ومر زمن طويل حتى ارتشف رشفة أخرى، لكنه وجد القهوة قد بردت، فيطلب فنجاناً آخر، والنادلة تبصر الفنجان الأول وهو مليء، فتدرك بفطنتها سبب حزنه وكآبته التي تغيّم على وجهه كسحابة سوداء، فتلقي على بحيرة سرحانه الراكدة حجراً فتقول: أين حبيبتك أيها المجنون؟! يقول الشاعر (إبراهيم، 2010، ص 32 - 34):

للقهوةِ طعمٌ آخرُ..

– ساخنةٌ؟

– ساخنةٌ.

– سوداءُ؟

– أجلْ.

لكنّ الطعمَ تغيّرْ.

شيءٌ ينقُصُ هذي القهوةَ،

شيءٌ ينقُصُني..

أرشُفُ فِنجاني،

وأقبّلُهُ

كغريبٍ

يلثُمُ ثغراً لا يعرفُهُ..

20-3.indd 262 8/30/2023 8:45:31 PM

يحمرّ الفنجانُ

بكفّي خجلاً..

أُجلِسُهُ فوق الطاولةِ السوداءِ

وأسرَحُ بعضَ الشيء..

أعودُ إليهِ لأرشُفَ ثانيةً..

برُدَ الفِنجانُ المحزونْ.

أسألُ نادِلةَ المقهى

فنجاناً آخَرَ،

تسألُني:

أينَ فتاتُكَ

يا مجنونْ.

ويقول في آخر قصيدته « هالة في المقهى»، وهو يدعو حبيبته لتنام وتغفو قربه في هذا المقهى، فقد صار المكان ملتقى لعاشقين، وكأنه اللقاء الأول بينهما، وكأنها اللهفة الأولى تعلن ميلادها بين جنبات هذا المقهى، والذي اشتعل ورداً وعبقاً عند لقائهما، وعمت في المقهى حالةٌ من الحب والألفة لوجود زوجين عاشقين، وكأنه حدث كوني جليل، ويتسرب عطر الحب للشارع أيضاً، وزوايا المقهى تلك الأماكن الهامشية والمهملة تصير مشغولة برذاذ العشق، وخبايا روحه أزهرت حباً بعد زمن من التصحر الوجداني، يقول الشاعر(إبراهيم، 2010، ص 30 - 31):

نامي،

حتى تتحلّلَ نادِلةُ المقهى

في فنجانِ القهوةِ كالسّكّرْ.

لمْ يبقَ هُنا أحدٌ شمّ بخورَ اللهفةِ

في هالتِنا المعروشةِ بالوردِ

20-3.indd 263 8/30/2023 8:45:31 PM

ولمْ يسكَرْ.

لم يبقَ على حالتهِ الأولى أحدٌ

فالكل تبعثرْ.

بعضُ العبقِ المُتمرّدِ

كادَ يفِرُّ إلى الشارِعِ،

لولا بعضُ الصّحوِ المُتبقّي في يدِها،

أسدلَ كُلَّ ستائرِنا المرفوعةِ،

فارتدّ النورُ إلى بؤرتِهِ

واشتعلَ الكوكبُ أكثرْ.

في زاويةٍ مُهملةٍ من روحي

اهْتزّتْ وربَتْ أرضٌ

ما كانَ بها غيرُ الشوكِ

وبعضُ الورقِ الأصفرْ،

صارتْ تُنبِتُ من كل عزيزٍ

زوجينِ اثنينِ بزاويةٍ

كانتْ مُهملةً

في المقهى.

المبحث الثاني: المكان النفسي في شعر إبراهيم محمد إبراهيم:

ترتبط جماليات الإبداع الفني بأواصر قوية مع المكان وما يشغل ذاكرته من صور ومقومات مختلفة، تسهم في تشكيل ذاكرة الإنسان وتملأ كيانه الشعوري، ومن ثم التسرب إلى سياق اللحظة الإبداعية التي تنطوي على تجليات فعل الإنسان المبدع، وتبرهن على استيعاب كينونته لصور المكان(صلاح، 2014، ص 134).

20-3.indd 264 8/30/2023 8:45:31 PM

إن الشعور يظل مبهماً في نفس الشاعر فلا يتضح إلا بعد أن يتشكل في صورة، ولا بد أن يكون للشعراء قدرة فائقة على التصور تجعلهم قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها، ومن ثمَّ تصويرها، وإن الشاعر يتخذ الصورة الموسيقية وسيلة للتوافق النفسي الطبيعي، فهو يستغل الصورة المكانية لخلق هذا التوافق. إن التشكيل المكاني في القصيدة هو إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها، وهو من الأمور التي يقوم عليها تشكيل الصورة الشعرية، وللشاعر كل الحق في أن يشكل الطبيعة ويتلاعب بمفرداتها وبصورها وفقاً لتصوراته الخاصة، إذ يرى أن هذا هو الأسلوب الأصدق في التعبير عن نفسه، وبذلك فإن الشاعر يشكل الصورة مما يستمده من عينيات ماثلة في المكان، فيصنع له نسقاً خاصاً لم يكن له من قبل. وحقيقة المكان في الشعر نفسية وليست موضوعية (إسماعيل، [د. ت.]، ص 56 - 64).

إن للمكان أبعاداً نفسية فضلاً عن وظائفه الفنية وأبعاده الاجتماعية والتاريخية والعقدية التي ترتبط به ولا تفارقه حتى إننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان أو ما يرتبط به، ويتغلغل المكان عميقاً في نفس الإنسان ليحفر مساراته في مستويات الذات المختلفة ليصبح جزءاً صميماً من هذه النفس (السعدون، 2015 ، ص 87). وقد ينسجم الإنسان مع المكان وقد لا ينسجم، فإذا حدث نوع من أنواع الانسجام فإن النص الشعري يطلُّ علينا بأثر الألفة عليه، وإن لم يحدث ذلك فإنه تبرز في النص علامات عدم الألفة مع المكان، فيكون المكان طارداً، وغير أليف (السعدون، 2010، ص 12).

1. المكان الأليف:

إن المكان الأليف في شعر إبراهيم محمد إبراهيم يتمثل في البيت، وغرفة النوم، والمقهى، والقرية، والوطن.

ففي قصيدة «مس من شتاء» يبرز لنا المكان الأليف، وذلك في البيت، وتحديداً في غرفة بالمنزل تجمع حبيبين، والألفة والحب ترسم علاقتهما، وتلقيان بظلالهما على المكان، يتقاسمان الأحلام، والليل هنا وعاءٌ زمنيٌّ يحويهما بجمالياته، إذ يبصران السماء رحبة فسيحة وكأنها تلوّح بالسلام، والشاعر يقول لحبيبته: انتظريني لأقرأكِ على مهل، وأقلبَ دفترَ أحلامك، والليل طويلٌ يتسع للهفتنا، ويهيء لنا أرائك اللحظات السعيدة. والشبابيك كذلك تمدَّ المكان بألفتها، فهي مشرعة تترقب الأحلام وترصدها، حتى إن ألفة المكان قد فاضت خارج هذه الغرفة لتشمل الأشجار والنخيل في حديقة المنزل وما جاورها، وكل ما في هذا المساء يبث فينا الجنون؛ لتزداد معه مشاعر الغرام والانسجام، ويختم الشاعر المشهد بأن يطلب الحبيب من حبيبته أن تزمِّله، وتحتضنه بدفئها وحنانها؛ ليدخلا في حالة من الاتحاد الجسدي والروحي، يقول الشاعر (إبراهيم، 2004، ص 82 - 84):

20-3.indd 265 8/30/2023 8:45:31 PM

دعيني أُقلّبُ دفترَ
أحلامكِ القُزحيّةِ
وانتظريني بلا زينةٍ..
ريثما أتهجّاكِ
بين سطورِكِ ثمةَ
ما يستحقُّ القراءةَ،
ما زال في الليلِ متّسعٌ،
السماءُ الفسيحةُ،
تكفي لدورةِ نجمٍ جديدْ.
الشبابيكُ مُشرعةٌ،
ترصُدُ الحُلمَ،
نهرُكِ فاضَ،
وأرسلَ خيطاً من البوحِ
تنسجُهُ النسماتُ العذابُ
على سَعَف النخلِ،
صار ملاءةَ دفءٍ
على أرضنا الباردةْ.
كل شيءٍ بهذا المساءِ،
يبثُّ الجنونَ
وأعقلُ ما فيهِ يهذي ..
النُّخيلاتُ

20-3.indd 266 8/30/2023 8:45:31 PM

والنجمُ

والشعرُ

والنسمةُ الشاردةْ.

زمّليني برمشكِ،

واستغرقي في الكلامِ المُبعثرِ

ذاك الذي لا يفُكّ طلاسمهُ الشّعراءُ.

وانزعي سترةَ البردِ عنّي ..

بجمركِ يكتملُ المشهدُ الشّتويُّ،

وفي أضلُعي يستوي الكستناءُ .

والمقهى في القصيدة التالية يشكل للشاعر مكاناً أليفاً أيضاً، فهو فيه يركن إلى عزلته، ويشعر فيه بطمأنينة نفسية، بعيداً عن صخب العالم، وهمومه، فهو في وضع نفسيٍّ مريح جداً يجعله يسرح في الموجودات، ويسبح في فضاء تخيلاته، ويُلبس ما حوله ما تجود به ظلال المعنى، ويرى في تأملاته ما هو جميل وقبيح، وما هو صعب وسهل، فنظرته في حالة معيارية لتقييم الأشياء، والشاعر يتجاوز المشاهد القريبة، وينطلق إلى تأمل المشهد الكوني، وهو جالس على كرسيه في المقهى يراقب من النافذة، ويؤكد أن مكاناً صغيراً وزاويةً ما في هذا الكون تكفيه، وترضيه، فهي تتحمل وتحتضن أوهامه وأحلامه وتأملاته، تمده بالاستمتاع باللحظة الراهنة بكل حب ورحابة، وأنه ليصفو في هذا المكان، ويتطهر مما علق به من عوالق الدنيا؛ ليعود بعد ذلك الذي قضاه في المقهى أبهى وأجمل وأصفى، يقول (إبراهيم، 2002، ص 17 - 19):

في هذا الجُزءِ المعزولِ من العالمِ،

في هذا المقهى،

من هذا الكُرسِيّ،

أُحدّقُ في كُلّ الأشياءِ،

أُحمّلُها ما لا تحملُ،

20-3.indd 267 8/30/2023 8:45:31 PM

أسبحُ في بحرِ دقائِقِها زَمَناً ..

وأعودُ بأخبارِ الخَلقِ المُهملْ .

من هذا الكُرسِيّ،

عرفتُ الأصعَبَ والأسهل

والأقبحَ والأجملْ .

وقرأتُ تراتيلَ النّجمةِ في الليلِ،

وما تركَ السّهرُ المجنون

على الطّرْفِ الأكحلْ .

زاويةٌ في هذا الكونِ الشاسِعِ تكفي ..

زاوِيةٌ تتحمّلُ طينَكَ،

أوهامَكَ.

زاوِيةٌ،

تُغريكَ بِعِطرِ اللّحظةِ،

تُهديكَ الحبّةَ

والتُربةَ

والمِنْجَلْ.

زاوِيةٌ،

منها تستدعي الكونَ،

تُحدّثُهُ

تستفتيهِ

تُقرّعُهُ تستجديهِ

20-3.indd 268 8/30/2023 8:45:31 PM

تُجرّدُهُ

تُعطيهِ

تُؤمِّرُهُ ..

تتواصلُ فيهِ

بما فاتكَ،

تَفصِلُهُ ..

زاوِيةٌ،

تورِقُ في الجذْبِ

وتُثمِرُ قبلَ المِوسمْ .

زاوِيةٌ،

تُخلي قلبَكَ من وَسَخِ المِشْوارِ

وتسكُبُ فيكَ اللّونَ المائِيَّ

لتُصبحَ لوناً أبهى،

روضاً أزهى،

نهراً أطولْ.

وقد تتجلى الألفة في قرية يحنُّ إليها، ويحن إلى كل تفاصيلها، ورملها، وناسِها، وربما كان مكان الطفولة التي عاشها الشاعر، وأودعه الكثير من الذكريات، ووجدانه الطفولي يسكن في أرجاء هذه القرية ويتراكض بين أزقتها، ومن شدة التعلق والحب والحنين فهو يعشق حتى رملها الذي لو لمس حبةً واحدةً منه لما صمتت، وستملأ المكان بالأحاديث والذكريات التي لا تنتهي، وهذا يشير إلى أن هذا المكان (القرية) مكانٌ يمثل عمقاً كبيراً في وجدان الشاعر، يقول(إبراهيم، 2009، ص 65):

لملميني..

أحِنُّ إلى قريةٍ،

20-3.indd 269 8/30/2023 8:45:32 PM

حينَ تُلمسُ منْ رملِها حبّةٌ

لا تُجيدُ السُّكوتْ.

2. المكان المعادي:

إن المكان المعادي في شعر إبراهيم محمد إبراهيم يتمثل في السجن، والمنفى، والبيت، والمدينة، والمقهى، وإن بعض هذه الأماكن كالبيت والمقهى قد وردت عند الشاعر بألفتها، وقد تكون أليفة أو معادية وذلك لتغير الحالة النفسية للشاعر، أو البيئة من حوله، أو وجود مسببات أخرى جعلت المكان معادياً.

أما السجن فإنه أوضح صورة للمكان المعادي، فهو مكانٌ مغلق، يحمل سمة العدوانية، ويكون محفزاً للهروب منه، ويتصف بالوحشة، وبالانعزال، وبالكثير من المشاعر السلبية، مثل: عدم الراحة، وفقدان الطمأنينة، والضيق، والقلق، والحقد، والكراهية، والشعور بالمهانة، وسلب الحرية، والألم، وهو كذلك يترك أثراً نفسياً عميقاً وجرحاً لا يندمل مع الزمن (ذنون، 2014، ص 161)، وهنا يتساءل الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم على لسان السجين: ما سر غرورك أيها السجان؟! وكلانا نشترك في المكان ذاته، فالسجن مكان بطبيعته يلقي بشِراكه على الموجودين، ويحوطهم بإيحاءاته من قلق ووحشة وخوف من الآخر، فللمكان تأثيره على قاطنيه، ولا مهرب من ظلاله التي يلقيها على النفوس، يقول (إبراهيم، 2012، ص 27):

ما سِرُّ غُرورِكَ يا سَجّانْ؟

وكِلانا خلفَ القُضبانْ.

والبيت أيضاً حين يكون مكاناً معادياً يصير سجناً آخر، فهو يضيق على ساكنيه، وتغيب عنه مشاعر الألفة والمحبة والطمأنينة، ويلقي أثره النفسي المشابه للسجن وذلك من خلال ما يجلب من ضيق، وإغلاق محكم، فيكون المكان محتشداً بالأحزان والآلام والوحشة والذكريات السلبية، وفي قصيدة « أقفاص فارغة» نرى الأقفاص وهي تجثم على البيت، وتحيله إلى سجن محكم الإغلاق، فالقفص الأول يترصَّد له عند مدخل منزله، والآخر في غرفة نومه، والثالث عند النافذة، وبالتالي يصبح البيت قفصاً كبيراً بوجود كل هذه الأقفاص، وهناك قفصٌ داخليٌ رابع، إنه صدره الذي ضاق بكل هذه السجون، فهو يقول: إن في صدري قفصاً آخر، وفيه ثلاث حماماتٍ يبكين، وعدد الحَمام هنا بعدد الأقفاص القابعة في البيت، وإن كل ما سبق يؤكد على أن هذا البيت مكانٌ معادٍ، لا مهرب منه، ويصعب تغييره حاله، يقول (إبراهيم، 2012، ص 123 - 124):

20-3.indd 270 8/30/2023 8:45:32 PM

قَفَصٌ

في مدخَلِ بيتي ..

قفصٌ

في غُرفةِ نومي ..

قفصٌ

في نافِذَتي ..

وثلاثُ حماماتٍ

يبكينَ على صَدري.

أما في قصيدة « صعاليك» فنرى بأن المدينة تشكِّل مكاناً معادياً لمن لا مأوى لهم، فهي لم تعد تحتويهم، بل إنهم يعيشون فيها وكأنهم عالةٌ عليها، لا مكان لهم، والجوع والفقر يرافقانهم، ويتركون الزمن يمضي، لا حيلة لديهم لتغيير أحوالهم، فيمر الليل والنهار، وهكذا دواليك، ولا شيء سوى أنهم يمضون، فلا هدف لهم، ولا سقف يأويهم، الشارع مبتدأهم ومنتهاهم، ممشاهم وملاذهم الذي لا يحوي معنى الملاذ، فالمدينة عندهم كائنٌ قاسٍ يجلدهم بسياطه ويذيقهم العذاب والمرارة، يقول (إبراهيم، 2012، ص 41 - 43):

في الشارِعِ يمشونَ حُفاةً

تحتَ الشّمسِ ..

ظِلالُهُمُ تِلكَ،

بقايا الليلِ الذّائبِ منْهُمْ ..

يمشونَ

ولا يدرونَ إلى أينَ ..

يجُرُّهُمُ الصُّبحُ

إلى ليلٍ آخَرَ ..

يطوونَ ظِلالَهُمُ للنومِ مخدّاتٍ

20-3.indd 271 8/30/2023 8:45:32 PM

وينامونَ

ويصحونَ

ويمشونَ

حُفاةً

تحتَ الشّمسِ

بِلا ظِلٍّ

وبلا شارِعْ.

3. المكان المتحول:

إنا نرى المكان المتحول في شعر إبراهيم محمد إبراهيم في بيت تحوَّل من الألفة إلى العداء، أو في قصر صار مكاناً معادياً وتحوَّل عن طبيعته الأليفة. وقد نجده في سجن، فهو في الأصل مكانٌ معادٍ ولكنه تحوَّل إلى مكان أليف. وقد يأتي المكان المعادي لدى الشاعر في مدينة تغيرت ملامحها، وجاء الاسمنت مكان نخلاتها وأشجارها ورملها.

إن أقرب مثال على المكان المتحول في شعر إبراهيم محمد إبراهيم قد بدا حين تحوَّل الإحساس تجاه البيت، فنراه قد أصبح ضيقاً جداً كجُحر النملة، وقد كان يراه في طفولته بيتاً فضفاضاً واسعاً، فكان للعامل الزمني العمري أثره في التحوُّل المكاني، وفي تغيُّر النظرة إلى الأشياء، فالبيت هو البيت، لم يتغير شيء في حجمه، ولكن الشعور تجاهه هو الذي تغير، وبالتالي تغيرت صورته الذهنية يقول (إبراهيم، 2012، ص 71 - 72):

كُنتُ أرى البيتَ كبيراً

فضْفاضاً..

وكبَرْتُ

فصِرْتُ أراهُ كجُحْرِ النّملةِ..

ما أوسعَ جُحرٍ

نَخرُجُ مِنهُ

بما لا يحمِلُهُ الكونْ.

20-3.indd 272 8/30/2023 8:45:32 PM

وقد يتحوَّل القصر الأليف إلى مكان موحش في نظر الشاعر حين لا يدخله الفقراء، ويكون دخوله مقصوراً على طبقة اجتماعية معينة، فالشاعر ينظر إلى أن المكان الذي يختار نوعية زائريه على أساس طبقي يستحيل إلى مكان لا يُطاق، يقول (إبراهيم، 2009، ص 89):

أوحَشُ قصرٍ،

قصرٌ،

لا يدخُلُهُ الفُقراءْ.

إن المكان المعادي قد يتحوَّل إلى مكان أليف، وذلك حين يُطلق السجين خيالاته الحالمة، ويحلم بالجماليات التي تداعب روحه وتدغدغ مكامن الحس عنده، فيصبح السجن المحكم الإغلاق، المعتم، الضيق مكاناً رحباً تحلق الأحلام في فضاءاته، ويؤنس صاحبه، يقول (إبراهيم، 2009، ص 91):

أوسعُ سجنٍ،

سجنٌ،

يحملُ أحلامَكْ.

أما في قصيدة « النخلة»، فإن الشاعر يقدم لنا مفارقة في التحول المكاني، يطال المدينة التي تقوم على أنقاض المكان القديم، فهنا يتحدث عن برج يُبنى في إحدى زوايا المدينة، ولكنه وبطريقة الفانتازيا يطول ثلاثين باعاً بعد أن يتمَّ البناء، ما أدى إلى أن يجنَّ من قام بتعمير هذا المكان، ويصبح ذلك لغزاً عجيباً، ولم يفك شفرة هذا اللغز إلا عجوزٌ له دراية بالمكان، وقد عاصر الزمن القديم، والزمن الحاضر، فالبناية قد تم تشييدها فوق أنقاض مزرعةٍ لأبيه، وكانت بها نخلةٌ صامدةٌ تأبى الموت، وتعود، فتكون لعنةً على هذا المكان الجديد، وفيه إشارة إلى عدم ارتياح الشاعر عن هذا التحول المكاني الذي غيَّر من ملامح المكان الطبيعية، وأحاله إلى مكان يجثم عليه الإسمنت، ويقتل ما تبقى من روح في هذه القطعة من الأرض، يقول (إبراهيم، 2009، ص 175 - 176):

قامَ بُرْجٌ

بِإحدى زوايا المدينةِ،

حتّى إذا ما اسْتَقَرّ بِهِ الناسُ،

20-3.indd 273 8/30/2023 8:45:32 PM

طالَ ثلاثينَ باعاً...

فجُنّ جنونُ المُعَمِّرِ:

كيف تَفِزُّ من الأرضِ

بعدَ تمامِ البِناءِ البُيوتْ؟

وما فَكَّ لُغْزَ الحِكايةِ،

إلا عجوزٌ،

يقولُ:

بأنّ البِنايةَ قدْ شُيِّدتْ

فوقَ أنقاضِ مزرعةٍ لأبيهِ،

بها نخْلةٌ قدْ أبَتْ

أنْ تموتْ.

خاتمة:

بعد قراءة دواوين إبراهيم محمد إبراهيم الشعرية خرجت بمجموعة من النتائج، أذكر أهمها في النقاط الآتية:

- إن المكان الاجتماعي في شعر إبراهيم محمد إبراهيم يتفرع إلى أمكنة منها ما هو خاص يتمثل البيت أنموذجاً، ويمثل للشاعر الكون الصغير، الذي يشعره أحياناً بالاكتفاء عما هو خارجه، فهو يمارس فيه وحدته وعزلته، وكانت غرفة النوم مكاناً مفضلاً لديه أكثر خصوصية، ليكون منطلَقاً لأحلامه، وسماءً تحتضن خيالاته. ومن الأمكنة التي تفرع إليها المكان في شعر إبراهيم محمد إبراهيم المكان العام، وكان الشارع أنموذجاً له، وكثيراً ما كان يجد الوحشة فيه، ويحس بمشاعر الحزن والألم، وفي بعض الأحيان كان يبصر فيه شيئاً من البهجة، فهو مكان البحث عن الصديق. أما المكان الأخير الذي تفرع إليه المكان في شعر إبراهيم محمد إبراهيم فهو المكان المشترك، وكان المقهى أنموذجاً له، وهو في تجربة الشاعر مكان مفتوح على كافة الاحتمالات العاطفية، يلوذ به كلما دعت الحاجة إلى ذلك، يكشف فيه عن أحزانه، فيفضفض للشعر، ويرى المقهى أيضاً

20-3.indd 274 8/30/2023 8:45:32 PM

مكاناً لالتقاء عاشقين، فيه تبدأ حكايا الحب وتنمو، كما أن المقهى عند الشاعر مكان للعزلة والوحدة، والانتظارات الطويلة.

- إن المكان النفسي في شعر إبراهيم محمد إبراهيم ينقسم إلى مكان أليف، ومعادٍ، ومتحول، أما المكان الأليف في شعره فيتمثل في البيت، وغرفة النوم، والمقهى، والقرية، والوطن، وأما المكان المعادي فنراه في السجن، والمنفى، والبيت، والمدينة، والمقهى، وأما المكان المتحول فنراه في بيت تحوَّل من الألفة إلى العداء، أو في قصر صار مكاناً معادياً وتحوَّل عن طبيعته الأليفة، كما نجده في سجن تحوَّل إلى مكان أليف، ويأتي المكان المتحول لدى الشاعر في مدينة تغيرت ملامحها، وجاء الإسمنت مكان طبيعتها الأولى فأزال ملامحها العذراء.

وختاماً، نقول: إن الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم أعده من أهم الشعراء الإماراتيين في الوقت الحالي، وهو يتبوأ مكانة شعرية مرموقة في الشعر في الوطن العربي، فهو شاعر مخلص لمشروعه الشعري، ودواوينه المفعمة بالجمال تشهد على ذلك، كما أنه أبدع في كتابة القصيدة القصيرة جداً « الومضة»، وأبدع في كتابة القصيدة الطويلة جداً، التي شكلت ديوناً مستقلاً، فهي القصيدة الديوان، وقد تكررت هذه الحالة الشعرية لديه في ديوانين، هما: « خروج من الحب.. دخول إلى الحب»، و« سُكَّر الوقت».

قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم، إبراهيم محمد (2012). جبل الراهبات. دائرة الثقافة والإعلام. https://doi.org/10.21608/mbse.2012.145572

إبراهيم، إبراهيم محمد (2009). ريشة في الضباب. دائرة الثقافة والإعلام.

إبراهيم، إبراهيم محمد (2012). سُلَّم الكون. مركز سطان بن زايد للثقافة والإعلام.

إبراهيم، إبراهيم محمد (2002). الطريق إلى رأس التل. اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.

إبراهيم، إبراهيم محمد (2012). لن تفهموا. مركز سلطان بن زايد للثقافة والإعلام.

إبراهيم، إبراهيم محمد (2010). ليست الأرض لي. هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.

إبراهيم، إبراهيم محمد (2004). مس من شتاء. دائرة الثقافة والإعلام.

إبراهيم، إبراهيم محمد (2010). هكذا قهوتي. اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.

إبراهيم، إبراهيم محمد (2012). ولدت ضحى. دائرة الثقافة والإعلام. https://doi.org/10.21608/mbse.2012.145572

إسماعيل، عز الدين (د.ت.). التفسير النفسي للأدب (ط4). دار غريب.

باشلار، غاستون (1984). جماليات المكان (ترجمة وتقديم غالب هلسا، ط2). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

20-3.indd 275 8/30/2023 8:45:33 PM

جائزة الشارقة للشعر العربي. موقع دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة في الانترنت: http://www.sdci.gov.ae/Ar/Award/5/-1.

حسنين، أحمد طاهر وعدد من الباحثين (1988). جماليات المكان (ط2). دار عيون المقالات.

ذنون، حازم سالم (2014). التشكيل السردي الحواري. دار تموز.

السعدون، نبهان حسون (2015). شعرية تشكيل الفضاء السردي. دار غيداء.

السعدون، نبهان حسون (2010). المكان في قصص علي الفهادي. مجلة دراسات موصلية، مركز داراسات الموصل بجامعة الموصل، *9*(29).

صلاح، عبد الله زيد (2014). دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر. دار مجدلاوي.

الطربولي، محمد عويّد (2005). المكان في الشعر الأندلسي. مكتبة الثقافة الدينية.

عبيد، أحمد محمد (2016). معجم أدباء الإمارات. وزارة الثقافة وتنمية المجتمع.

العبيدي، حسن مجيد (2016). موسوعة المكان. منشورات ضفاف.

العبيدي، حسن مجيد (2007). نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية ابن سينا نموذجاً. دار نينوى.

العراقي، محمد عاطف (1983). الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا (ط2). دار المعارف.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1982). كتاب العين (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي). وزارة الثقافة والإعلام.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1991). القاموس المحيط. دار إحياء التراث العربي.

قاسم، سيزا (2002). القارئ والنص. المجلس الأعلى للثقافة.

كسَّاب، حامد (2006). مقدمة ديوان الخمائل (فايزة المومني).

مينو، محمد محي الدين (2012). معجم النقد الأدبي الحديث. دائرة الثقافة والإعلام.

نبذة، موقع الشاعر إبراهيم محمد إبراهيم في الانترنت: https://ibrahimmibrahim.com/about/.

هنية، جوادي (2013). صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج [رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة].

ابن الهيثم، أبو علي الحسن بن الحسن (2014). رسائل المكان والضوء وأضواء الكواكب (تحقيق أحمد فؤاد باشا). دار الكتب والوثائق القومية.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2012). jabala al-rāhibāti dā'iratu al-thaqāfati wa-l-'ī'lāami https://doi.org/10.21608/mbse.2012.145572

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2009). rīshatan fī al-ḍabābi dā'iratu al-thaqāfati wa-l-'ī'lāami

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2012). sullama al-kwn markazu sṭān bn zāyada lil-thaqāfati wa-l-'ī'lāami

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2002). al-ṭarīqa ilā ra'asi al-talli ittiḥādu kitābin wa'udabā'i

20-3.indd 276 8/30/2023 8:45:33 PM

al'imārāti

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2012). lan tafhamū markazu sulṭāni bn zāyada lil-thaqāfati wa-l-'i'lāami

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2010). laysati al'a'araḍu lī hay'iatun a'abiwaẓabiyyin lil-thaqāfata wa-l-turātha

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2004). massa min shitā'in dā'iratu al-thaqāfati wa-l-'i'lāami

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2010). hakadhā qahwatī ittiḥādu kitābin wa'udabā'i al'imārāti

'ibrāhym 'ibrāhym muḥammada 2012). waladat ḍuḥan dā'iratu al-thaqāfati wa-l-'i'lāami https://doi.org/10.21608/mbse.2012.145572

'ismā'yl 'izza al-dīni dt al-tafsīru al-nafsiyyu lil-'ādaba ṭ dāra gharība

bāshlār ghāstūna 1984). jamālīāti almakāni tarjamatan wataqdyma ghāliba halasā ṭ al-mu'uassasata aljāmi'iyyata lil-dirāsāti wa-l-nashri

jā'izatu al-shāriqati lil-shi'ra al'arabiyya mawqi'u dā'irati al-thaqāfati wa-l-'i'lāami bi-l-shāriqati fī al-antrnt http://www.sdci.gov.ae/Ar/Award/5/-1.

ḥusnayni a'aḥamida ṭāhirun wa'adadun mina albāḥithīna 1988). jamālīāti almakāni ṭ dāra 'uyūni almaqālāti

dhnwn ḥāzima sālima 2014). al-tashkīla al-sardiyya alḥiwāriyya dāru tammūzin

al-sa'dūnu nabihāni ḥasawna 2015). shi'riyyata tashkīli alfaḍā'i al-sardiyyi dāru ghaydā'u

al-sa'dūnu nabihāni ḥasawna 2010). ulmukānni fī qaṣaṣi 'aliyyi al-fhādy majallatu dirāsātin mawṣiliyyatin markaza dārāsāt almawṣila bijāmi'ati almawṣili 9(29).

ṣulā'āaḥun 'abda Allāhi zaydi 2014). dalālata almakāni fī al-shi'ri alyamaniyyi almu'āṣiri dāra majdalāwiyyan

al-ṭrbwly muḥammada 'uīda 2005). ulmukānni fī al-shi'ri al'a'andalusiyyi maktabatu al-thaqāfati al-dīniyyati

'abīdun a'aḥamida muḥammadu 2016). ma'jama udabā'u al'imārāti wizāratu al-thaqāfati watanmiyati almujtama'i

al'abīdiyyu ḥusna majīda 2016). mawsū'ata almakāni manshūrātu ḍifāfin

al'abīdiyyu ḥusna majīda 2007). naẓariyyata almakāni fī alfalsafati al'islāmiyyati ibna sīnā namūdhajan dāra nīnawā

al'irāqiyyu muḥammada 'āṭifa 1983). alfalsafata al-ṭabī'iyyata 'inda ibni sīnā ṭ dāra alma'ārifi

alfarāhīdiyyu alkhalīla bn a'aḥamida 1982). kitābi al'ayni taḥqīqa mahdī al-mkhzwmy w'ibrāhym al-sāmarrā'iyya wizārata al-thaqāfati wa-l-'i'lāami

20-3.indd 277 8/30/2023 8:45:33 PM

alfayrūzu ābādiyyun majda al-dīni muḥammada bn ya'qūbi 1991). alqāmūsa almuḥīṭa dāru iḥyā'i al-turāthi al'arabiyyi

qāsimun syzā 2002). alqāri'ia wa-l-naṣṣa almajlisu al'a'lā lil-thaqāfata

kussābun ḥāmida 2006). muqaddamata dīūāni alkhamā'ili fāyizata al-mwmny

maynū muḥammada muḥḥī al-dayyini 2012). mu'jama al-naqdi al'adabiyyi alḥadythi dā'iratu al-thaqāfati wa-l-'i'lāami

nabdhatun mawqi'a al-shā'iri 'ibrāhym muḥammada 'ibrāhym fī al-antrnt https:// ibrahimmibrahim. com / about/.

haniyyatun jawādiyya 2013). ṣūrata almakāni wadalālātihi fī riwāyātin wāsīnī al'a'raja risālata duktūrāhin jāmi'ata muḥammada khyḍr bisukkaratin

ibna alhaythami a'abū 'aliyyu alḥusni bn alḥusni 2014). rasā'ila almakāni wa-l-ḍaw'i wa'a'aḍwā'i alkawākibi taḥqīqun a'aḥamida fu'uādu bāshā dāra alkutubi wa-l-wathā'iqi alqawmiyyati

20-3.indd 278 8/30/2023 8:45:33 PM

The place in Emirati poetry: Ibrahim Muhammad Ibrahim as a case in point

Hassan Ali Alnajjar[1]

Abderrahmane Bouali[2]

Abstract:

The place is an important component in poetry, and it is one of the most important elements in the aesthetic composition of the poetic text, through which we can highlight the nature of the interaction between the place and the poet's poetic experience and analyze his poems in light of that. His poetic experience spans more than thirty years, and the presence of place in his poetry is significant and remarkable. In this research, I adopted the critical and analytical approach to the poetic texts under study, and I divided the study into an introduction and two sections. In the introduction, I explored the concept of place in linguistic dictionaries, philosophy, and literary criticism, in addition to introducing the poet and his poetic works. In the first section, I dealt with the house as an example of social private place, the street as an example of public place, and the café as an example of common place. In the second section, I examined the psychological place, including the friendly, hostile, and changing places.

Keywords: Place, Emirati poetry, Ibrahim Muhammad Ibrahim, social place, psychological place.

(1) College of Arts, Humanities & Social Sciences – University of Sharjah (Sharjah – U.A.E.) u17200719@sharjah.ac.ae

(2) College of Arts, Humanities & Social Sciences – University of Sharjah (Sharjah – U.A.E.)

20-3.indd 279 8/30/2023 8:45:33 PM